تصور محمد البشير الإبراهيمي لمنظومة تربوية تعليمية (1889-1960م)

Mohamed El Bashir El Ibrahimi's conception about the the system of education and teaching(1889-1960)

وسيلة فراج [1]

[1] المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر) ، wassi-alger@live.com

تاريخ الإرسال: 2019/08/31 تاريخ القبول:2020/08/04 تاريخ النشر: سبتمبر2020

ملخص :

اهتم محمد البشير الإبراهيمي بالمنظومة التربوية والنهوض بها حيث سعى إلى إصلاح المجتمع فبدأ بإصلاح التعليم وأكد على أنه لابد من أصل واحد في التعليم ومنهج واحد في التربية فإن اختلفت الأصول والمناهج فلا فائدة نجنيها،حيث أولى عناية كبيرة بالتربية وأكد على أسبقيتها عن التعليم فلا يمكن أن نعلم جيل قبل أن نربيه ونزرع فيه الأخلاق والمبادئ الإسلامية ، وبين أن الاهتمام بالمعلم هو سر نجاحه مع التلاميذ كما أكد على ضرورة الاهتمام باللغة العربية و محاربة السياسة الفرنسية الرامية إلى فرنسة المجتمع ومنع التعليم العربي فقام بنشر التعليم العربي وإنشاء مدارس حرة وإلغاء قوانين الفرنسية القمعية .

الكلمات المفتاحية : التعليم ،الاستعمار ، الإبراهيمي ،المنظومة .

summary:

El Bachir El Ibrahimi was interested in the educational system and its development. He intended by this to reform the society, so he started by improving education, and he emphasized that one basis and one methodology are needed in teaching. This is because if there is a variety in the principles and methodologies, no benefit will be gained. For him, education is prior to teaching as a generation cannot be taught before being well educated on the basis of good islamic morals and behaviours.

Furthermore, he said that the teacher is the secret behind the success of the learners. He also stressed on the necessity of valuing the Arabic language and fighting against the French

المؤلف المرسل: وسيلة فراج ، الإيميل المهني: wassi-alger@live.com

colonialist policy trying to make the Algerian society a French one. Thus, he encouraged the teaching of Arabic by establishing private schools for that purpose.

Key words :Teaching, Colonialisme, El Ibrahimi, System.

أكدت جمعية العلماء المسلمين أن أي عملية إصلاح في المجتمع لابد لها من إصلاح التعليم وأن أي إهمال في جانبه سيؤدي إلى إفشال عملية الإصلاح و يقول ابن باديس رحمه الله : لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله... ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يصبغ المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره. وعلى هذا الأساس عقد العزم هو و الإبراهيمي على إصلاح التعليم في الجزائر والعودة به إلى ينابيعه الأولى.[1]

1- التعريف بالبشير الابراهيمي :

ولد البشير الإبراهيمي بقرية رأس الوادي بسطيف يوم 14 جوان 1889م في بيت علم ودين حفظ القرآن على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي سافر إلى المدينة المنورة سنة 1911م وسافر إلى مصر والتقى بالعديد من العلماء و الأدباء والشعراء ، كما حضر بعض دروس العلم في الأزهر وبعدها استقر بالمدينة المنورة ودرس على كبار العلماء والشيوخ التفسير والحديث والفقه والتراجم وأنساب العرب ، كما درس علم المنطق وأمهات كتب اللغة والأدب ثم أصبح يلقي الدروس في الحرم والتقى في موسم الحج سنة 1913م بالإمام ابن باديس ومن هنا تم التفكير بتأسيس جمعية العلماء المسلمين . وفي سنة 1917م انتقل إلى دمشق ودرس بالمدرسة السلطانية وألقى دروس بالجامع الأموي وتخرج على يده جيل من المثقفين ، عاد إلى الجزائر سنة 1920م وبعدها بسنوات أسس جمعية العلماء المسلمين ووضع دستورها وقانونها وأصبح نائبا لرئيسها بن باديس 1931م ومنذ 1933م تكفل بمقاطعة الغرب واختار تلمسان مركزا لنشاطه المكثف وأسس بها مدرسة الحديث سنة 1937م وبعدها قاد حركة ثقافية ودينية ونهضوية كثيفة وتوفي رحمه الله سنة 1965م [2].

2 - دور الإبراهيمي في نشر وتدعيم التعليم العربي الحر :

يرى الإبراهيمي أن تعليم اللغة العربية مفتاح الدين وجزء منه ولهذه اللغة على الأمة الجزائرية وجوب تعلمها ، فالمحافظة عليها محافظة على الجنسية والدين معا ، و جمعية العلماء التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية قد أقامت خمسة عشر عاما تطالب في غير ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني .وطالبت الجمعية باسم الأمة الجزائرية المسلمة عموما تطالب الحكومة الجزائرية الاستعمارية بإلغاء جميع القرارات القديمة المتعلقة بالتعليم العربي واستبدال قانون موحد عادل بها لا يكون من طرف واحد كالقرارات القديمة بل يكون للأمة رأي فيه، ولجمعية العلماء اشتراك في وضعه ويكون

واضح الدلالة بين المقاصد صريح المعاني ، وترى الجمعية أن التعليم العربي الذي تسعى لحريته ورقيته هو جزء من التعليم العام الذي هو وسيلة التثقيف وظلت الحكومة الجزائرية الاستعمارية تعاكس وتضع العراقيل في طريق التثقيف وهذه المعاكسات حرب على الإسلام لأن التعليم العربي إسلامي ،وهي حرب على الإسلام و العربية، ورأي الجمعية في التعليم العربي أنه أصبح ضرورة من ضرورات الأمة[3] .

وأظهر الإبراهيمي مدى أهمية التعليم العربي الحر حيث يقول أن هذه الأمة هي صاحبة الحق في التعليم وأن تكون هي القائمة به والقيمة عليه بمعنى أن يكون المعلم له من أبنائها المتضلعين في لغتهم ، ولا يكون حظها في التعليم الثانوي أوكس من حظ الانجليزية والاسبانية فالأمة تريد من التعليم العربي الحكومي الذي يحقق للعربية صفة الرسمية أن يكون تعليما كاملا في جميع مراحله يبنى على أساس صحيح في المرحلة الابتدائية وصحة الأساس تكون في المعلم الكفء و الكتاب الوافي و البرنامج الكافي ثم ينتقل صحيحا إلى الدرجتين الثانوية والعليا والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه لا تعليما يحمل جراثيم الفناء وتحمله نذر الموت والأمة تريد تعليما عربيا عليه طابعها وفيه أثر يديها[4].

و قال أن الموجود من التعليم العربي في المدارس الحكومية لا قيمة لها والموجود منها من المدارس الحرة مضغوط عليه إلى درجة الإزهاق مطوق بالقرارات الإدارية الجائرة وقد احتجت الأمة الجزائرية على القرارات وأثبتت أنها متمسكة بلغتها التي هي ترجمان دينها وآدابها وماضيها، ومما يرضيها أن تكون مسألة التعليم في طليعة الإصلاحات وتعطى الحرية في تعليم أبنائها لغة دينهم وآدابها خصوصا وأنها في هذه الحالة لا تكلف الحكومة مالا فهي مستعدة بمالها ومعلميها [5] .

بالنسبة لتدعيمه للتعليم العربي كما أشرنا سابقا فقد طالب الإبراهيمي بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني كما أنه عارض القوانين الموضوعة لتصفية اللغة العربية وطالب بتيسير إعطاء رخص للمعلمين لمزاولة التعليم التي تخدم التعليم العربي الذي يعد إحدى ضرورات الأمة الجزائرية، واستنكار قرار شومان الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية وطالب بإلغائه وحرية الصحافة العربية والنوادي الإسلامية ، وفصل الدين عن الحكومة وتسوية الأوقاف والمساجد وحرية تعيين الأئمة من الأمة وليس الحكومة [6]

3- تصور الإبراهيمي لمنظومة تربوية أصيلة وعصرية :

1.3- أهمية التربية قبل التعليم عند الإبراهيمي :

كان الشيخ الإبراهيمي يؤمن إيمانا لا حدود له بالعلم ويرى فيه السبيل الوحيد لنهضة الأمة وانتشالها من وهنة التخلف وإعدادها للمعركة الفاصلة مع المحتل الغاصب ولكن العلم وحده ليس كافي في رأيه لخلق رجال يعتد بهم ويعتمد عليهم في حمل الرسالة والنهوض بالوطن إذا لم يكن هذا العلم أو التعليم يستند إلى تربية خلقية متينة فهو مثل سلفه ابن باديس يجعل التربية في المنزلة الأولى والتعليم في

المنزلة الثانية وفي هذا المعنى كتب يقول مخاطبا المعلمين حاثا لهم على التمسك بالأخلاق الفاضلة القوية المتينة لأنهم صانعوا الأجيال وأنهم لا ينجحون في مهمتهم التربوية والتعليمية إلا إذا كانت لهم أخلاق قويمة سليمة من كل عيب ولو كان حضهم من الكفاءة والكفاية العلمية ليس كما ينبغي[7].

والتربية القوية و التعليم السليم ينبغي أن يكونا باللغة الأم، اللغة الوطنية التي هي اللغة العربية لأنها وعاء ثقافتنا وحافظة تراثنا ومعارفنا وذلك في المراحل الأولى من التعليم على الأقل حتى يشب الطفل على محبة قومه وتاريخ شعبه ووطنه ثم لا باس بعد ذلك من تعلم اللغات الحية الأجنبية و يشرح الإبراهيمي مضار التعليم باللغة الأجنبية وحدها وعدم تعلم الأطفال لغتهم القومية الوطنية التي تعصمهم من الزلل والانحرافات الفكرية و القومية فيقول :والتعليم الأجنبي على تفاهة ما يقدم لنا منه في الكيف وقلة في الكم وعلى اضطرارنا إليه و إقبالنا عليه يسبقه جهل وتقترف به آفات وتعقبه مفاسد وهو على ذلك كله يفتح عينا ليعمي عينا ومن بلغ إلى غايته منا أصبح بالطبيعة متنكرا لماضيه ودمه وقومه لأن ذلك التعليم وجده فارغا فملأه بما يشاء هو. لا بما نشاء نحن[8].

وقد كان الإبراهيمي يرى أن تدريس التربية الدينية في المدارس يكون إجباريا مثل تدريسهم العلوم والآداب والحساب فحاجة الأمة إلى رجال أقوياء في دينهم وأقوياء في أخلاقهم وسلوكهم العام أحوج منها إلى علماء ضعفاء الإيمان والأخلاق فهؤلاء الأقوياء في دينهم وأخلاقهم يمكن الاعتماد عليهم في الشدائد وفي المحافظة على التراث القومي للبلاد أما الآخرون فإنهم يسهل التأثير عليهم وإغرائهم على التنكر لشعبهم وبلادهم وقوميتهم من طرف رجال الاحتلال أو غيرهم [9] .

وبالجملة فالتعليم في نظر الإبراهيمي لا يمكن فصله عن التربية القومية والتربية الدينية والتربية الأخلاقية وهكذا تتجه أراء الإبراهيمي في التكوين إلى الجانب الأخلاقي و الروحي فيهم قبل الجانب الفكري المحض ، وهذا ما يفسر لنا كثرة توجيهاته إلى المعلمين الأحرار بأن يولوا عنايتهم الفائقة في التعليم إلى تقويم الأخلاق وإصلاح المعوج منها في التلاميذ يقول في افتتاحية البصائر لسنة 1849 م عدد94 " احرصوا أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة التالية نصب أعينكم وحاديكم في تربية هذا الجيل الصغير وهاديكم في تكوينه وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر من خاب من نقص في الأخلاق فمنها كانت الخيبة ومنها كان الإخفاق [10] .

و ينصح الإبراهيمي المعلم ويقول عن التلاميذ أبناء الأمة تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه وألسنتهم على اللسان العربي وتسكبون في آذانهم نغمات العربية ودقائقه وفي أذهانهم سر العربية وتديرون أرواحهم بالفضيلة و الخلق المتين وتروضونهم على الاستعداد للحياة الشريفة وتقودهم بزمام التربية إلى مواقع العبر من تاريخها ومواطن القدوة الصالحة من سلفهم ومنابت العز والمجد من مآثر أجدادهم الأولين واحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم ....احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلاميذكم من الأقوال منطبقا على ما يرونه و يشهدونه منكم من الأعمال فإن الناشئ الصغير مرهف الحس [11] .

ذلك أن العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه وما أصيب المسلمون في عزيمتهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أمتهم والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه تربية وأن الجمع بين التربية و التعليم هو وظيفة النبوة [12]

يتبين مما سبق أن الإبراهيمي قد أولى عناية كبيرة لجانب التربية ويؤكد على أسبقيتها عن التعليم فلا يمكن تصور مربي لا يتحلى بالأخلاق .

2.3- توجيهاته للطلبة العلم :

يقول الإبراهيمي لطلبة العلم لا تعتمدوا على حلق الدرس وحدها واعتمدوا معها على حلق المذاكرة ،إن المذاكرة لقاح العلم إنكم إن تفعلوا تنفتح لكم أبواب من العلم وتلح لكم آفاق واسعة من الفهم لا تقتنعوا بالكتاب المقرر واقرءوا غيره من الكتب السهلة المبسوطة في ذلك العلم تستحكم الملكة و يتسع الإدراك وسينتهي الإصلاح الذي تقوم به إدارات جامعتنا إلى اختيار كتب سهلة ممتعة في كل علم تفرض عليكم قراءتها ومطالعتها ثم كتب أخرى في المعارف العامة كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق و التربية فوطنوا أنفسكم على ذلك من الآن وروضوها على اختيار النافع المفيد من الكتب وفِروا الوقت كله للدرس النافع و المطالعة المثمرة .[13]

وقال أيضا لا تعتمدوا على حفظ المتون وحدها بل أحفظوا كل ما يقوي مادتكم اللغوية وينمي ثروتكم الفكرية ويغذي ملكتكم البيانية و القرآن.. القرآن تعاهدوا بالحفظ وأحيوه بالتلاوة وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة و القواعد وعلى الاستشهاد في الدين والأخلاق وعلى الاستظهار به الجدل وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون يقول يا أبنائي إن الزمن قد وضعكم وضعا صيركم جديرين بان تطلبوا العلم لوجه الله ولوجه العلم لا للوظائف ولا للشهادات[14].

وتحدث عن أهمية اللغة العربية وأنها لغة القرآن بها يتلى والصلوات بها تبدأ وتختم دونت بها علوم الإسلام وآدابه وفلسفته و روحانياته [15] .

وقال أنه لا ينبغي أن يسافر أبناء المسلمين للتعلم في أوروبا إلا بعد أن يتعلموا في بلادهم تعليما قوميا وطنيا متينا حتى لا ينخدعوا ببريق المدينة الغربية عندما يذهبون إلى أوربا وبالتالي يتنكرون لتاريخهم وقوميتهم وثقافتهم وقد قال في هذا المعنى الكثير وخاصة ما جاء في مقال نشره في مجلة المسلمون بمصر سنة 1954 م وهو هناك في المشرق تحت عنوان داء المسلمين ودواؤهم[16].

4- المنظومة التربوية و التعليمية عند الإبراهيمي :

1.4- البرنامج التعليمي :

المشروع التعليمي حتى ينجح لابد أن تكون الانطلاقة من العقيدة الدينية أي الإصلاح الديني ويقول الإبراهيمي بدأنا هذه الحركات بجنب حركة التعليم وأطلقنا عليها اسمها الحقيقي وهو الإصلاح الديني وهو اسم يهيج أصحاب البدع و الضلالات من المسلمين بالدرجة الأولى ويهيج الاستعمار الخارجي في الدرجة الثانية فكان من تفاوت التهيج فسحة سرنا فيها خطوات إلى النجاح وقد نهج ابن باديس نفس المنهج في توجهاته الإصلاحية [17] .

وضع الإبراهيمي برنامج حافلا للتعليم العربي بجميع أنواعه وضمنه أصول من علم التربية ، قسم مواد التعليم العربي الابتدائي في مدارس الجمعية على ست سنوات متوالية هي المراحل الأولى في عمر التلميذ الناشئ ويحصل حين تجاوزها بنجاح على شهادة تسمى شهادة التعليم العربي الابتدائي يكون قد حصل القراءة والكتابة عارف للدين الإسلامي علما وعملا ولمبادئ الدين الإسلامي كالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ويحفظ في هذه المراحل أجزاء من القرآن حفظا متقنا وأحكام التجويد وقد يبلغ الدرجات العليا إن لم ينقطع عن التعليم فإن انقطع عن الدراسة استطاع بما تعلمه من العربية أن يطالع ويقرأ فيصبح عارفا بدينه ولغته وتاريخه فيصبح عضوا حقيقيا في أمته صالحا نافعا عاملا وهذه هي الغاية من التربية الصالحة ومرحلة التعليم الابتدائي مهمة ،على أساسها يبنى المستقبل فإن كان هذا التعليم صالحا كانوا صالحين لأمتهم ولأنفسهم وإن كان ناقصا مختلا زائفا بنيت حياة الجيل كله على الفساد وساءت آثاره على الأمة[18]. .ويقول أ ن البناء لا يعلوا قويا صحيحا متماسك الأجزاء متعاصيا على الهزات ولا زلازل إلا إذا كان الأساس قويا متينا .. وإن هذا الجيل الذي بين أيديهم هو حجرة الأساس في بناء هذه الأمة من جديد فليثبتوا الأساس ليثبتوا الأساس.[19]

ومما سبق يظهر أن الإبراهيمي يؤكد على أنه لابد من أصل واحد في التعليم ومنهج واحد في التربية فان اختلفت الأصول والمناهج في أمة واحدة كانت كلها فاسدة .

2.4-الاهتمام بالمادة العلمية :

اهتم الإبراهيمي بالمادة العلمية التي تتضمنها الكتب والمصنفات ويسعى إلى تحصيلها طلاب العلم، كما يسعى إلى بثها المعلمون، ففي نصيحة إلى طلاب العلم يبين الإبراهيمي صفات ومضمون المادة العلمية التي يجب أن يتلقاها طالب العلم والمتمثلة في:

أصالة المادة العلمية، بالاعتماد على ما صح وثبت بالدليل والابتعاد عن القشور ومما لا فائدة من ورائه.

و ضرورة الاعتماد على اللغة العربية كأساس في التربية و التعليم، ولا ينافي تعلم اللغات الأخرى .مع مسايرة العصر في التعليم من حيث النظام والقوة والفعالية و حفظ القرآن الكريم لأنه أساس العلوم كلها والاهتمام بالسنة وهدي السلف .و اعتماد الكتب السهلة المبسوطة.

إلى جانب تنوع المادة العلمية من المعارف العامة كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق والتربية و الرياضيات والطبيعيات[20]

مع توجيه التعليم وفق منهج عقدي صحيح خالي من البدع و الخرافات والحث على طلب العلم والعمل به و الإقبال على الحياة [21] .

3.4- الاهتمام بالمعلم :

اهتم الشيخ بالمعلم وأولاه عناية خاصة على المستوى النظري والعملي كيف لا وهو الواسطة الضرورية لنقل العلم إلى عقل الطالب وقلبه، وهو الرائد الأصيل والموجه الحكيم في تربية الأجيال وصناعة الرجال وتخريج القادة، والدفاع عن الهوية. ففي لقاء جمع الشيخ بمعلمي جمعية العلماء المسلمين يخاطبهم قائلا: " أي أبنائي المعلمين، إنكم في زمن كراسي المعلمين فيه أجدى على الأمم من عروش الملوك، وأعود عليها بالخير والمنفعة، وكراسي المعلمين فيه أمنع جانبا وأعز قبيلا من عروش الملوك، فكم عصفت العواصف الفكرية بالعروش، ولكنها لم تعصف يوما بكراسي المعلم"[22] .

وينبه الإبراهيمي إلى المسؤولية الخطيرة التي يتحملها المعلمون، فهم مسؤولون عن النمو الفكري والتهذيب النفسي للناشئة وهم مسؤولون من جهة أخرى عما يصيب أبناء الأمة من زيغ فكري وعقائدي، فموقعهم في المجتمع خطير لا يجوز فيه التقصير أو الخطأ، ويشبه وظيفة المعلم بوظيفة الطبيب بل إن مسؤولية المعلم أشد و أقوى، لأن الخطأ الذي قد يقع فيه الطبيب لا يتعدى فردا أو فردين، أما الخطأ الذي يقع فيه المعلم فإن أثره يتعدى جيلا بأكمله..» ويقول أيضا:« إن التقصير في الواجب يعد جريمة من جميع الناس، ولكنا في حقنا يضاعف مرتين، فيعد جريمتين، لأن المقصر في غيرنا لا يعدم جابرا أو عاذرا، فقد يغطي تقصيره عمل قومه، أو حكومته.. أما نحن فحالنا حال اليتيم الضائع الجائع، إذا لم يسع بنفسه مات، فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينفع أمتنا ويرفعا فمن ذا يعمل لها؟..»[23]

4.4- شروط نجاح المعلم :

وللمعلم المتحقق بالعلم عند الإبراهيمي شروط وعلامات تؤهله للتدريس وأداء مسؤوليته على أكمل وجه، من هذه الشروط ما يتعلق بذاته، ومنها ما يتعلق بطلبته وتلاميذه وهي :

- التحلي بالتقوى وإخلاص العمل لله .

- الإيمان العميق بشرف العلم والتعلم والتعليم.

-العمل بما علمحتى يكون قوله مطابقا لفعله، فإن كان مخالفا له فليس بأهل لأن يؤخذ منه ولا أن يقتدى به في علم. لأن المعلم كما يقول الإبراهيمي لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان صالحا، فهم يأخذون عنه بالقدوة أكثر مما يأخذون عنه بالتلقين[24].

-ضرورة الاستزادة من العلم بإكثار القراءة والمطالعة والبحث والتقصي والاستفادة من الجديد فمن النصائح التي كان يوجهها للطلبة والمعلمين.. وإن التعليم لأحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم، إذا عرف كيف يصرف مواهبه، وكيف يستزيد وكيف يستفيد، وكيف ينفذ من قضية إلى قضية، وكيف يخرج من باب إلى باب، فاعرِفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الإطلاع ، فان كان حال العلماء متدني وهم الذين إن أساؤوا فهم الدين أساؤوا إفهامه وإن أخطأوا في تعلمه أخطأوا في تعليمه [25] .

- الصبر على المكاره، والثبات في الشدائد والأزمات .[26]

5.4 نجاحه مع تلاميذه:

-الشفقة على المتعلمين والتحبب إليهم، ورعاية الأطفال وسياستهم بالرفق و الإحسان، باللين والتواضع، ومساعدتهم على قضاء حوائجهم إن كان ذلك باستطاعته، فهم بالنسبة إليه كالأولاد مع آبائهم. حيث يقول: فواجب المربي الحاذق المخلص إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر كلفة، وأن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسائلهم عن أحوالهم باهتمام، ويضاحكهم ويحادثهم بلطف وبشاشة، ويبسط لهم الآمال ويظهر لهم العطف، ما يحملهم على محبته[27] .

- دراسة ميول الأطفال ونفسياتهم ويكون المعلم بينهم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزع عليهم بشاشته، ويزرع بينهم نصائحه و اتخاذ أسلوب الترغيب في سياسة الأطفال ورعايتهم بدل أسلوب الترهيب ، لأن الأول إيجابي وأثره باق، والثاني سلبي وأثره موقوت، لأنه يعتمد على الخوف ويربي الجبن خاصة في المراحل الأولى للطفولة، يقول الإبراهيمي: ليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العنيفة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن، وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن، فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة.[28]

فمن أشنع ما تتسم به الحكومات الاستعمارية التسلط على رجال العلم ورجال القضاء وتصريفهم في أغراضها المنافية لشرف العلم و شرف القضاء و العلم رمز الإنسانية و الكمال و القضاء رمز العدل و المساواة فإذا سخرها الاستعمار في أغراضه واتخذ من رجالهما أدوات لتنفذيها فذلك هو الفساد في

الأرض لذلك تجدنا لا نثق ببعض علماء المشرقيات الذين يتخذ منهم الاستعمار مستشارين في وزارات الخارجية فيجعل من العلم معينا على الظلم [29] .

5 - جهود الإبراهيمي التربوية :

من بين الجهود التي قام بها الإبراهيمي في حقل التربية والتعليم:

- توجيه النقد الى الأساليب التربوية السائدة في الزوايا القائمة على التلقين و التقليد وتقتل في طلابها روح المبادرة والإبداع وقد وجه أيضا نقدا إلى مناهج الزيتونة التربوية وطرق أساتذتها في التدريس [30] .

- ذم علم الكلام وذم التعصب والتقليد في مسائل الفقه وأصوله والدعوة إلى التجديد و الاجتهاد [31]

- الدعوة إلى تفسير القرآن وفهمه فهما صحيحا مع حسن التدبر والإتباع بعد القراءة والترتيل وذلك في بالتعمق في أسرار البيان العربي والتفقه في السنة النبوية لمقاصد القرآن الشارحة لأغراضه والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة مع التأمل في سنن الله في الكائنات ودراسة ما تنتجه العلوم الاختيارية من كشف لتلك السنن وعجائبها [32] .

- إنشاء التعليم الثانوي: لما تزايد عدد خريجي المدارس الابتدائية للعلماء رأى الإبراهيمي ضرورة الانتقال إلى المرحلة الثانوية في مدارس العلماء فدعا إلى إنشاء هذا المعهد ودعا بعض علماء واشتروا أرضا في قسنطينة لتكون مقرا لهذا المعهد وقد سموه بمعهد ابن باديس تخليدا لذكراه و قد ارتفع مستوى التعليمي للطلاب واعترفت جامعات الشرق بهم و أصبح خريجوه يلتحقون بجامعة الأزهر وجامعة بغداد والكويت ودمشق[33] .

- إشرافه على البعثات العلمية الجزائرية في الشرق :سبق وصول الإبراهيمي إلى القاهرة وصول بعثة الجمعية ضمت 25 طالب وطالبة كانت البعثات تقتصر على مصر فقط وتمكن الإبراهيمي من الحصول على منح أخرى وكان يتفقد الطلاب من بلد لآخر ونجح 90 بالمئة من الطلاب في دراستهم الجامعية والثانوية وانخرط هؤلاء في صفوف الثورة بفكرهم وثقافتهم [34] .

- إنشاء المدارس : أكد الإبراهيمي أن أكبر دعامة تقوم بها النهضة الجزائرية هي تأسيس المدارس الحرة بمال الأمة حيث أنشأ الإبراهيمي العديد من المدارس وُوضع للتعليم برنامجٌ قارّ، وعيِّنت له لجنةٌ ومفتِّشون، وحدّدت ساعات التّعليم والعُطَل، وُوضِع للمعلّمين بالمدارس درجات منها مشروع مدرسة تلمسان التي دشنت في سبتمبر 1937م تعتبر من أهم قلاع التربية و التعليم في الجزائر بما كان لها من أثر في تربية النشء وإحياء اللغة العربية ونشر الثقافة و التصدي لحملات التغريب و التذويب[35] كانت تسمى بمدرسة الحديث تعبيرا عن مبادئ الحركة التي تدعوا إليها وهي الرجوع إلى السلفية النقية التي تستمد أحكامها من الكتاب والسنة وهدي السلف[36] .

- الدعوة للعناية بالرياضة البدنية وإدخالها في البرامج الدراسية[37].

- وضع تعليمات تتعلق بمهنة التفتيش ذلك من خلال:

- تقديم تقرير تفصيلي عن كل مدرسة على حدى من ملاحظات عن المعلمين من حيث طريقة وتحصيل التلاميذ وعن حال التلاميذ من حيث النظافة وصحة المكان.

- التعجيل بتقديم الملاحظات الهامة إلى مكتب لجنة التعليم بالجزائر مع إرفاقها بنظرية المفتش.

-إحصاء سلبيات وايجابيات المعلم وهو يلقي الدرس كتابة ثم إرسال ذلك في ظرف مختوم إلى مكتب لجنة التعليم ليتولى بدوره تسجيل الأغلاط وإرسالها من جديد إلى المعلم بطريقة كتابية لتكون أثبت في نفس المعلم حتى يتجنبها مستقبلا.

-الوقوف على تطبيق البرنامج والكتب و الحصص و اللائحة الداخلية ودفاتر تسجيل التلاميذ و المنادات اليومية وأسباب تخلف التلاميذ والإطلاع على كراسات الدروس اليومية والمداولة و أوراق أخبار أولياء التلاميذ عن أسباب التخلف.

- إعداد تقرير عام عن المدارس يقدم إلى لجنة التعليم في أول السنة الدراسية المقبلة.

- الاجتماع بمجلس المعلمين والإطلاع على أحوالهم و السماع إلى مقترحاتهم ومطالبهم وتقديم ملاحظات فنية عامة لهم في صورة محادثة أو مسامرة.

- الاجتماع بالمجلس الإداري للجمعية المحلية واطلاعه على صورة مجملة عن سير التعليم وتقدم المدرسة.

- تقديم جدول بعدد التلاميذ ذكورا وإناثا كل على حده و بعدد المعلمين وبيان الأجرة التي يتقاضونها شهريا .

- تقديم كشف بعد إتمام التفتيش لجميع مصاريف الجولة لتعذر إرسالها إليكم الآن بعدم انضباطها [38] .

- و اقترح الإبراهيمي تأسيس مؤتمر سنوي يعقد بالعاصمة العلمية مدينة قسنطينة يحضره كل القائمين بالتعليم من أعضائها العاملين فتتبادل الآراء وتتلاقح الأفكار وتستفيض المباحث عن أصول التربية والتعليم وسيكون من نتائج المؤتمر توحيد التعليم .

- عكاظ علمي سنوي تقيمه في مدينة الجزائر على إثر اجتماعها العام وتمتد أيامه إلى ما فوق الأسبوع ويلقي كل أعضائها العاملين محاضرات ليتمرنوا على الخطابة في مواضيع الدعوة و الإرشاد[39].

هذه بعض الأسس التربوية التي بنى عليها هذا المربي المفكر إسهاماته ومواقفه في الحقل التربوي وقد أدركت سلطات الاحتلال وهي تحرص على خنق كل مساهمة حية تسعى لتقريب الأمة من أهدافها حرصت

على إبعاد هذه الجهود فضاعفت مكائدها لمحاصرتها وتضييق مجال الحركة في وجهها وإقامة الموانع بينها وبين من تتوجه إليهم بالرعاية والتكوين من الناشئة الجزائرية وسخرت لأجل مناهضة المدرسة الجزائرية إلى جانب الإجراءات التعسفية المدرسة الاستعمارية وربيبتها المدرسة الطرقية بكل ما لديها من إمكانات مادية هائلة ونظم إدارية متفوقة وسلطة محلية جائرة إلى أن أصحاب الجهود الصابرة المحتسبة استطاعوا أن يصمدوا في وجه هذه التحديات واستمر الصراع على أشده بين نضالا تهم وبين سلطات الاحتلال فكانت فرنسا تهجم وجمعية العلماء تبنى وهي تجهل والجمعية تعلم وهي تنوم والجمعية تنهض [40].

6- أهداف التربية والتعليم عند الابراهيمي :

يقول الإمام الشيخ محمد بشير الإبراهيمي في عيون البصائر:" غاية الغايات من التربية– هي توحيدُ النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقلُه من ذلك الُمضْطَرَبْ الفكري الضّيق الذي وضعه فيه مجتمعه-إلى مضطرب أوسَع منه دائرةً ، وأرحَبَ أُفُقًا، وأصحَّ أساسًا، فإذا تمّ ذلك وانتهى إلى مَداه طَمِعْنا أن تُخْرِجَ لنا المدرسة جيلاً متلاحِمَ الأذواق، متّحِدَ المشارب، مضبوطَ النزعات، يَنْظُر إلى الحياة- كما هي- نظرةً واحدةً ، ويَسْعى في طلبها بإرادة متحدة، ويعملُ لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاهٍ واحدٍ ."

" - وقال أيضا غاية التعليم هي تفقيهه في دينه ولغته، وتعريفه بنفسه لمعرفة تاريخه، تلك الأصول التي جَهِلَها آباؤُه فشَقُوا بجهلها، وأصبحوا غُرَباءفي العالم، مقطوعين عنه، لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحدٌ [41]

والسعي إلى تصحيح العقيدة واستنارة الفكر وطهارة النفس وكمال الخلق واستقامة العمل[42] .

وتكوين جيل يتربى في المدرسة الجزائرية وينهل من معانيها عميق الإيمان بقيم أمته شديد الارتباط بانتمائها الحضاري قوي الإرادة في الذود عن حقوقها مقداما في المنافحة عن اختيارها محبا للحياة الكريمة [43] .

ويتم تحقيق الأهداف بمايلى: توحيد منهاج التربية والتعليم و لا يتم ذلك إلا بتوحيد الإدارة وتوحيد الإشراف العام لأن توحيد الغايات لا يتم إلا بتوحيد الوسائل [44] .

نستنتج أن الإبراهيمي سلك مسلك ابن باديس حيث كان مشروعه التربوي تأصيل روحي وتجديد فكري مركزا على تصحيح العقيدة وتزكية النفس وتنوير الفكر وهذا المنهج الذي اهتم بالعقيدة قامت الدعوة الإسلامية على أساسه ودعى إليه قبل ذلك ابن تيمية ومن سار على نهجه ، ونجاح المجتمع الإسلامي لا يكون إلا بالرجوع الى قواعد الدين والأخذ بأحكامه وتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وهذا هدف كل مصلح مسلم تصحيح الاعتقاد وإزالة ما طرأ عليه من أخطاء في فهم الدين لذا لابد من الاستفادة من منهج الإبراهيمي في النهوض بالتعليم والتربية حاليا .وهذا لايعنيأن لا نستفيد من كل جديد في كل الميادين وليس التربية فقط بل لابد من الاندماج في التطورات الحالية ومواكبة العصر .

الهوامش :

1- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار المعارف، ص17-18.

2 - أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار ج1 ص9-13 .

3 -محمد الصالح رمضان ، الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية دار الحديث بتلمسان برئاسة نابغة المسرح العربي الأستاذ يوسف وهبي، ط1 تلمسان ،1950 ط2 2003 م، الجزائر ص207.

4 - الإبراهيمي، عيون البصائر، ص305.

5- أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي بيروت مؤسسة الخدمات الطباعية، 1997م ، ج2 ص135 .

6 - الإبراهيمي، عيون البصائر، ص125.

7-محمد الصالح رمضان ، المرجع السابق ، ص64 ومحمد بن سمينة ، ملامح من إسهامات الشيخ الإبراهيمي في المشروع النهضوي بالجزائر، مجلة الموافقات، العدد4 ،المعهد الوطني لأصول الدين، 1995 ، الجزائر ص 516وما بعدها .

8 - الإبراهيمي، عيون البصائر، ج2 ص 290 ومحمد الصالح رمضان المرجع السابق، ص65.

9 -محمد صالح رمضان المرجع السابق ، ص66.

10 - نفس المرجع ، ص 68 ومحمد بن سمينة ، المرجع السابق ،ص 515.516 .517و عبد المجيد بن عدة ،الخطاب النهضوي في الجزائر1925-1945 أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف ناصر الدين سعيدوني، 2004-2005 ، ص 360.

11- الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص282 .

12- محمد بن سمينة، المرجع السابق، ص 516.

13 - الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 209 و محمد صالح رمضان ،المرجع السابق ص207 .

14 - الإبراهيمي ، عيون البصائر ص ، 210 و محمد صالح رمضان ، المرجع السابق ، ص213 و ومحمد عيسى ، المرجعية الفقهية في تراث الشيخ الإبراهيمي ، مجلة الموافقات ، العدد 4 ، 1995م ، ص645.

15 - محمد صالح رمضان المرجع السابق ، ص213 .

16 - الإبراهيمي، عيون البصائر، ص67.

17 - محمد بن سمينة ، المرجع السابق ، ص 500 ومحمد دراجي، الأصول الفكرية للتجديد الإسلامي عند محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الموافقات ،العدد4 ،المعهد الوطني لأصول الدين ،1995 م ، الجزائر ، ص 536-537.

18 - أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار ،ج2 ، ص 109.

19 - نفس المصدر ص 110-111.

20 - الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص210 .

21 - محمد بن سمينة ، المرجع السابق ، ص492 .

22 - أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار،ج2 ، ص112 ومحمد بن سمينة، المرجع السابق، ص 519 وما بعدها .
23 - أحمد طالب الإبراهيمي، المصدر السابق، ج2 ، ص ؟ ومحمد بن سمينة، المرجع السابق، ص 519 وما بعدها.
24 - أحمد طالب الإبراهيمي ، المصدر السابق ، ج2 ،ص115 و الإبراهيمي ،عيون البصائر، ص288 ومحمد عيسى ،المرجعية الفقهية في تراث الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ص641 .
25 - أحمد طالب الإبراهيمي، الآثار، ج 3 ، ص268 ومحمد بن سمينة ،المرجع السابق ،ص 520.
26 - محمد بن عيسى، المرجع السابق، ص 642.
27 - أحمد طالب الإبراهيمي ، المصدر السابق ، ج 2 ص112.
28 - نفس المصدر، ج2 ، ص113 وما بعدها.
29 - الإبراهيمي، عيون بصائر، ص238 .
30 - نفس المصدر ص 538.
31 - نفس المصدر ص 540.
32 - نفس المصدر ص 548و 551.
33 - الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص124.
34 - نفس المصدر ، ص134 ومحمد بن سمينة ، المرجع السابق، ص 517.
35 - محمد بن سمينة ، المرجع السابق ، ص 498 .
36 - عبد المجيد بن عدة ا ، لخطاب النهضوي في الجزائر1925-1945 ص 142 .
37 - نفس المرجع ، ص345 .
38 - محمد الحسن فضلاء ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر 2 ، القطاع الجزائري شركة دار الأمة ، الجزائر، ط1، 1999 م ،ص22-23
39- محمد دراجي، المرجع السابق، ص 537-538.
40 - محمد بن سمينة، المرجع السابق، ص 521.
41 - أحمد طالب الإبراهيمي المصدر السابق ، ج2 ص 111 و الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 295و 296 .
42 - محمد بن سمينة، المرجع السابق، ص 497.
43 - نفس المرجع ص 518.
44 - الإبراهيمي، عيون البصائر ص296.